**المحاضرة الثالثة والعشرون**

**ثانياً- التحولات الوظيفية في الاسرة العربية**

تعني الوظيفة اي نشاط متكرر الحدوث او الدور الذي تشغله في الحياة اليومية ككل مما يساعد ذلك النشاط على تحقيق الاستمرار البنائي. ويدل التعريف على وجود بناء اي علاقات قائمة بين وحدات متساندة في انظمة يحتويها نسق اجتماعي. ويدل ايضاً على فاعلية الوظيفة ذاتها وقدرتها في الحفاظ على الاستمرار. وتعني ايضاً الواجبات والمسؤوليات والسلطات والاختصاصات التي تهدف الى تحقيق غرض معين والتي يؤديها الفرد فعلاً. وتنشأ الوظيفة الاجتماعية دائماً استجابة لإشباع حاجات سواء تعلقت تلك الحاجات بوجود الافراد او تعلقت بوجود الثقافة التي يحملها النظام، فالوظيفة تشبع حاجة معينة في وقت معين.

ومما يتعلق بطبيعة الوظائف التي تقوم بها الاسرة العربية فيمكن القول انها وظائف ممتدة نحو المؤسسات الاخرى التي يتكون منها البناء الاجتماعي. اي ان الاسرة تتمتع بنفوذ وسطوة اجتماعية على ابنية ووظائف المؤسسات الاخرى. فالأسرة ليست بمؤسسة سلبية تتلقى التأثير من المؤسسات الاجتماعية الاخرى بل تمارس دوراً ايجابياً في تشكيل تلك المؤسسات. اي انها تتلقى التأثير من المؤسسات الاجتماعية وتؤثر بدور هام فيها. وتحت تأثير التغيرات والتحولات التي شهدها المجتمع المعاصر تغيرت وظائف الاسرة مقارنة بوظائفها التقليدية، فقد ظهرت مؤسسات وهيئات جديدة اصبحت تساعد الاسرة في اداء وظائفها الاقتصادية والثقافية والدينية. غير ان الاسرة ما زالت موجهة ومرشدة ومنقادة من قبل الرباط الاسري الذي كان سائداً في الاسرة العربية الممتدة. بمعنى ان الاسرة ما زالت مستمرة في اداء وظائفها الاجتماعية على الرغم من وجود مؤسسات اخرى تشاركها في اداء وظائفها فالوظيفة الاقتصادية مثلاً قد اتسع نطاقها لتشمل شتى المصانع والمعامل والاسواق والمؤسسات المصرفية. ومع ذلك فأن الاسرة مستمرة في اداء وظيفتها الاقتصادية من خلال الانفاق على اعضائها كالأطفال مثلاً. ووظيفة التنشئة الاجتماعية وبناء الشخصية الانسانية مسؤولية الاسرة وبدرجة اساسية، وان مشاركتها فيها المدارس والمعاهد أما الوظيفة النفسية العاطفية وتغذية الابناء بالأحاسيس والمشاعر التي تكفل لهم مواجهة الازمات مسؤولية الاسرة ايضاً.

ويؤكد [[1]](#footnote-1)\*روبرت ماكيفر "ان الاسرة بالرغم من التغيرات التي شهدتها الا انها احتفظت بالوظيفة النفسية العاطفية، فالأسرة تشدها روابط قوية تغذيها عواطف خالصة نقية تتمثل في حب الابوين وحب الاطفال ولا يمكن ان تجد تلك العواطف تعبيراً حراً عنها، في الا في ظل الاسرة الموحدة".

فضلاً عما تقدم لا يمكن ان نغفل وظيفة الاسرة في اشباع الدوافع الجنسية بين الافراد بصورة مشروعة ومقبولة دينياً واجتماعياً. وتلك الرابطة لا تهدف الى الاشباع فحسب، بل لتنظيم العلاقات الجنسية بين الازواج ولتقوية العلاقات والروابط بينهم. ولتحديد شرعية الانجاب ايضاً. وتنفرد الاسرة كمؤسسة اجتماعية بوظيفة الانجاب فليس هناك مؤسسة اخرى يمكن ان تقوم بهذه الوظيفة، لذا ان الاسرة مسؤولة عن حفظ النوع البشري بالتكاثر والانجاب.

ويمكن ان نشير الى اهم الوظائف التي تقوم بها الاسرة العربية المعاصرة:-

1. الوظيفة الاقتصادية.
2. الوظيفة النفسية العاطفية.
3. وظيفة التنشئة الاجتماعية.
4. **الوظيفة الاقتصادية**

مما لاشك فيه ان الوظيفة الاقتصادية للأسرة وظيفة مستمرة لكنها اختلفت عما كانت عليه في المجتمعات التقليدية، فقد كانت الاسرة هيئة اقتصادية منتجة ومكتفية ذاتياً والبيت مصنع صغير يقوم بأداء مهام افراد الاسرة كافة، الزوج والزوجة والابناء فضلاً عن كونه وسيلتهم للعيش اذ يعمل على توفير احتياجاتهم من غذاء وملابس وادوات. لذا يمكن القول ان البيت الجماعة الاقتصادية واساس الورع والسلطة ورب الاسرة (الاب) يعد الشخص الذي يشد البيت بأكمله. فالحياة الاقتصادية مشتركة ومتكاملة تقوي علاقاتها والروابط بين اعضائها سلطة رب الاسرة وسيطرته على مقوماتها وعلاقاتها وذلك يتمثل في الملكية والثروة ايضاً، فالملكية والثروة التي تحققها تعد جهود كل فرد من افراد الاسرة. وبفعل تغير المجتمع وتحوله اختلفت الوظيفة الاقتصادية من انتاجية الى استهلاكية، فقد اصبحت الاسرة في المجتمعات المعاصرة وحدة مستهلكة ينتج فيها الزوج والزوجة ويستهلك الابناء. كما اصبح دخل الاسرة يُصرف على الكماليات والمأكولات والملبوسات. اما الاسر ذات الدخل العالي انصب دخلها على الوسائل الترفيهية ذات الترف المظهري في حين تحول دخل الاسرة الريفية نحو شراء الادوات والاثاث البيتية، ذلك التمدن الاجتماعي يقودنا الى توضيح حالة اشتغال الزوجة خارج البيت لأجل زيادة دخل عائلتها لكي يكون قادراً على مواجهة احتياجات الاسرة المتزايدة. فضلاً عن ان وجود الزوجين خارج البيت للعمل جعل الاسرة بأمس الحاجة الى الاغذية والملابس الجاهزة ومعدات التنظيف. ان تلك التغيرات تبلورت بفعل عمل الزوجة خارج البيت لتساعدها على الاستمرار في عملها والحفاظ على وظيفتها البيتية تجاه اسرتها ايضاً. ويمكن القول ان الاسرة العربية مهما اختلف شكلها البنائي سواء كانت ممتدة او نواة تبقى المؤسسة المسؤولة عن اعالة ابنائها وربما بعض الاقارب الذين يعيشون معها مثل الاجداد. فالإباء يغمرهم شعوراً بالراحة عندما يستطيعان تلبية احتياجات ابنائهم من غذاء وكساء وتعليم وعلاج. لذا يمكن القول ان الاسرة مسؤولة عن توفير الاحتياجات المادية لأبنائها. وتستمر ايضاً حتى بعد ان يتمكن الفرد فيها من الاعتماد على نفسه فانه دائماً ما يلجأ الى الاسرة في حالة حاجته الى دعم مادي او في حالة تعرضه لأزمة.

1. **الوظيفة النفسية العاطفية**

ان العشرة والشوكة هي القاعدة الاساسية للحياة الزوجية والاسرية. وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم "21". توضح الآية القرآنية الكريمة ان العلاقة الزوجية تقوم على السكينة والطمأنينة، وان ما يربط الزوجين رباط المودة والمحبة والرعاية والاحترام والتقدير بحيث يشعر كل زوج بحاجته للأخر يسانده ويبادله الاخذ والعطاء، وذلك ما يقوي الرابطة بين الزوجين ويساعدهما على اداء مختلف الواجبات والمسؤوليات الاسرية. وان كل فرد صغيراً او كبيراً انما يكون بحاجة الى اشباع الحاجة الى الامن والاطمئنان والاسرة بوصفها جماعة اولية تشبع تلك الحاجات، فالزوجة تحب زوجها وتكون بحاجة لحبه واهتمامه بها، والاباء والامهات يحبون ابنائهم ويكونوا بحاجة لحبهم واحترامهم لهم. وفي ذلك يمكن القول ان الشعور بالحب والحنان يساعد وبدرجة كبيرة في تنشئة الابناء تنشئة سليمة تنعكس مباشرة في استقرار سلوكهم وتوازن شخصياتهم في حين ان الابناء الذين ينشئون في جو من الحقد والكراهية لا يكونوا كذلك.

وتعد الوظيفة النفسية العاطفية من الوظائف المهمة في الاسرة التقليدية والمعاصرة، فالحاجات النفسية ومشاعر الضمان العاطفي والانتمائي لها اهمية كبيرة لكلا منا، فكل فرد بحاجة الى ان يشعر ان هناك من يفكر ويهتم به ويعطف ويحنو عليه ويسعى جاهدا الى راحته واطمئنانه، وان هناك من يمكن الاعتماد عليه ليكون ملاذاً للهموم والاستشارة والمؤازرة في الازمات فمشاعر الحب المتبادل والتضحية بالذات في سبيل الاخرين هي من اهم ما تمتاز به المؤسسة الاسرية وهذا ما يقوي روابطها ويساعد في الحفاظ على كيانها وقد يبدو للبعض ان الوظيفة النفسية العاطفية تكاد تقتصر على الاشباعات الجنسية وان كان ذلك جانباً منهن وينحصر نطاقه بين الزوجين فقط لكن الاشباعات العاطفية تمتد نحو الزوجين مع بعض من جهة والزوجين وابنائهم من جهة ثانية، فهي اشباع للذات واحساس بالمحبة والاحترام. فضلاً عن كونها جوا من الحنان والامان. وقد اظهرت الدراسات اهمية الوظيفة النفسية العاطفية في الاسرة والتي لا يمكن ان تعوضها او تقوم بها اي جماعة او مؤسسة اخرى موضحة (ان الطفل يكتسب الاحساس بالأمان ازاء نفسه وازاء العالم والاقران والكبار المحيطين به من خلال احساسه بالانتماء المأمون الى جماعة صغيرة تغمره بمشاعر الحب والحنان والعطف والاهتمام. وان لتلك المشاعر اهميتها الكبيرة في نمو واتزان شخصيته).

نستخلص من ذلك ان الشعور بالحب والانتماء والاحترام والتقدير ينتج عنه الشعور بالأمن والطمأنينة تلك المشاعر تغذيها وتنميها الروابط الاسرية فتكون بمثابة صمام الامان الذي يحفظ لأعضائها اتزانهم واستقرارهم النفسي والاجتماعي فضلاً عن كونها نقطة البداية لإقامة شبكة العلاقات الانتمائية نحو العالم الخارجي، فالأسرة عبر اشباعاتها النفسية العاطفية تكون مصدراً للتغذية بالحب وملاذ لتفريغ الضغوط الانفعالية في آن واحد وذلك ما يحفظ توازنها ويقوي وحدتها وتماسكها.

1. \*عالم اجتماع. [↑](#footnote-ref-1)